

عائد من الظلام

بقلم / أحلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليب



عائد من الظلام!

- الحلقة الرابعة عشرة -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة الرابعة عشرة -

#بقلم: #أحلام-النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة-مؤسسة-أوار-الحق



كان "عثمان" يتكلم بطلاقة وأريحية، ويزخّ الأحداث التي عاصرها كالرصااص على رأس "مادو"؛ إذ كان سعيداً جداً وهو يرى أحد أصدقائه بعد كل هذا الوقت، وتوقف أخيراً عن حديثه فجأة، وقال:

- لكن.. لماذا لا تشاركني الحديث يا "أحمد"؟! وما هذه النظرة الخاوية على وجهك؟!

ازدرد "مادو" ريقه بصعوبة، كان محتاراً بشدة من كل ما يجري، ولا يفهم شيئاً مما يدور حوله، إضافة إلى ألم رأسه من الصدااع الفظيع، خيّل إليه أن هذا من تأثير الحمى، ولكن ماذا يصنع الآن؟!

وأخيراً وجد صوته، ونكّس رأسه، وأجاب "عثمان" المترقّب لردّه:

- لكن أنا.. لست "أحمد"!!

اتسعت حدقتا "عثمان" بدهشة وحيرة، ثم ابتسم وهو غير مصدق، وقال:

- هيا وكفّ عن المزاح يا "أحمد"! هل أُصيبت ذا كرتك فنسيت نفسك؟!

زفر "مادو" بتعب، وقال:

- أوكد لك أنني لست "أحمدك" هذا.

قطب "عثمان" بين حاجبيه منزجاً، كان يخشى أن صديقه قد فقد ذاكرته؛ لذلك غير مجرى الحديث، وقال:

- حسن حسن، سنتحدث لاحقاً يا "أحمد"، قم الآن وصلِّ ما فاتك من الصلوات خلال إغمائك.

حملق فيه "مادو" بذهول، وقال:

- أصلي ماذا؟!

هتف "عثمان":

- لا! لا تقل لي إنك نسيت الصلاة أيضاً! هذه كارثة!

رد "مادو" بسرعة:

- لا أنا لم أنسها، إنني مواظب عليها كل يوم أحد في الكنيسة.

هتف "عثمان" باعتراض واستغراب:

- كنيسة؟! عن أي نخامة تتحدث؟! أذكرك بالصلاة فتتكلم لي عن الكنيسة؟! ما بك يا "أحمد"؟!

أغمض "مادو" عينيه بتعب، وقال:

- لا أعرف كيف أجعلك تفهمني، بينا تصرّ أنني "أحمد"!

- طيب.. إذا لم تكن "أحمد"، فمن أنت؟!

فتح "مادو" عينيه، ونظر إلى "عثمان" قائلاً بهدوء:

- أنا "مادو".

هتف "عثمان":

- لكن هذا هراء!!

هتف "مادو" وقد نفذ صبره:

- بل كفّ أنت عن الهراء! أمّا اكتفى القساوسة بضربي وإهانتني حتى يأتوا لي بشيء خاص كي يشكّني في نفسي ويدفعني للجنون!!

زجر "عثمان":

- ماذا تقصد بهذا الهذيان العجيب؟!

رفع "مادو" سبابته باتجاه "عثمان" وقال:

- قل لي باختصار لمن تتبع أنت؟! هل أنت الشيء الخاص الذي يريده القس "مارك" أن يكون بديلاً عني؟!

هتف "عثمان" باستنكار:

- ش.. شيء خاص؟! أنا شيء خاص!!

وسمعا تتمتات غاضبة من السجانين النائمين، تلاها صوتُ أحدهما كسولاً منزعاً:

- "عثمان!" "مادو!" اخرسا؛ نريد أن ننام بسلام!

وأصدر صوتَ ثناؤٍ عالياً، وعاد للنوم، بينما تطاول "عثمان" بعنقه وهتف:

- أنت من يخرس يا صليبي!

ثم حدّق في "مادو" بصدمة كبيرة، وتتم:

- هذا صحيح إذا!! أنت "مادو!"

قال "مادو" بملل:

- ذلك ما كنتُ أحاول إقناعك به دون جدوى!!

زجر "عثمان" وهو يقترب من "مادو" ببطء تحت تأثير الصدمة:

- وتركتني أثر ثرك عن تفاصيل كل شيء! وسمعتُ مني ما لم تحلم العلوج الصليبية

بسماعه رغم أنف كل ما أنزلوه بي من عذاب وأذى!!

وأمسك بتلابيبه بعنف، وهتف:

- يا لك من خبيث أيها الجاسوس الوضع!!

نظر "مادو" إليه بذهول، وهتف:

- أمجنون أنت؟! تارة تظنني صديقك، والآن تصفني بالjasوس!! إن كنت تنسى لدرجة عدم التمييز بين الأصدقاء والغرباء، فهل تنسى أيضًا بأي حالة أدخلوني عليك؟!!!

صرخ "عثمان" وهو يهزه:

- لا نثذك عليّ! لماذا لا تكون هذه حيلة جديدة من "ألفرد"؟!!!

وتابع بقهر:

- حيلة أثبتت نجاحها فعلاً!

وهمس بتصميم:

- لكنني لن أتركه يفرح بهذا! سوف أقتلك أيها الجاسوس!! سأقتلك! ولن يعرف "ألفرد" أبسط معلومة عن أصحابي!

كاد "مادو" يخنق، وهو يتمتم:

- "ألفرد"! أنت تعرف القس "ألفرد"؟! أنت من أشياءه الخاصة؟!!!

هتف "عثمان" باشمئزاز:

- خسئت وخسئت! أي وصف مهين هذا؟! إنني موحد لا أسمح لقسك هذا أن ينال شرف مسح حذائي، بله أن أكون من.. من أشياءه الخاصة حسب قولك!!

وأفلته بعنف، وراح "مادو" يسعل بشدة، بينما كان "عثمان" في قمة الغضب والقهر، يفكر في حل لهذه المشكلة التي لم تخطر له على بال، غير أن جلبة غريبة كانت تحدث في الخارج؛ كانت خليطاً بين حشرات مكتومة، وهمسات حازمة، وخطوات سريعة، وأخيراً.. فُتح الباب، واصطدمت نظراتُ السجينين الداهلة بكوكبة من الأبطال، وانفلت أحدُهم إلى الداخل هائفاً، والدموع في عينيه:

- "عثمان!" "عثمان!" أنت حي!!

وتلقى "عثمان" أخاه في الله، وعانقه بإخاء صادق قائلاً:

- نعم والحمد لله، كيف وصلتُم إليّ؟!

نظر المجاهد الأول إليه بارتياح، ثم قال:

- ستعرف لاحقاً إن شاء الله تعالى، أما الآن؛ فهيا لنخرج من هنا بسرعة!

هتف "عثمان" بتصميم:

- لا بد لنا أن نأخذ هذا الصليبي معنا!

نظر المجاهدون باستغراب إلى "مادو"، وسأل أحدهم:

- لماذا؟! أنت تقول إنه صليبي؛ فلماذا نأخذه؟!

دمدم "عثمان" من بين أسنانه:

- ذكرتم أنه لا وقت لدينا، فقط خذوه معنا، بدونه لن أتحرك خطوة!

قال "خالد" بضيق من الموقف كله:

- حسن حسن، دعونا نذهب وحسب، خذوه.

هجم اثنان على "مادو" وكتفاه، بينما انطلق "خالد" أولاً ليؤمن الطريق، وفي هذه الأثناء.. كان "ستيف" قد أفاق من إغمائه، وهو يشعر بصداع قاتل ودماء حارة في جنبه، ومن بين الغمامة السوداء على عينيه: أبصر بالشباب الغرباء الذين أصابوه؛ فرفع مسدسه بجهد جهيد، وأطلق باتجاههم!!

(٣٣)

شيك "مارك" بين كفيه، وقد أسند مرفقيه إلى مكتبه، وقال ببرود:

- إذا كنت صادقاً غير مراوغ، وإذا كنت قد فهمت جيداً؛ فسَنَخْلُصُ إلى النتيجة القائلة إن "مادو" ما يزال يتنفس، برغم وعدك لي!

أخذ "ألبرت" -الواقف أمامه- نفساً عميقاً، ثم قال وهو يحاول المحافظة على هدوئه:

- سيدي.. أعرف أنني قد وعدتك، ولكنني أعرف أيضاً أن عليّ اختيار الوقت المناسب!

زجر "مارك":

- الآن مثلاً! ما الذي يشغلك!!؟

دمدم "ألبرت" من بين أسنانه:

- شاحنة التكوين وصلت قبل قليل، فهل من الحكمة أن أدخل أمامها إلى السجن
لأسمع حشرتك التعيسة!!؟

سكت "مارك" قليلاً، وهو يمعن النظر في وجه "ألبرت" محاولاً سبر غوره، ثم قال:
- حسناً.. سأفهمك هذه المرة.

واسترخى في جلسته متابعاً:

- لكنني لا أريد أن يشهد "مادو" شروق شمس الغد! هل هذا واضح يا "ألبرت"!!؟

خفض "ألبرت" رأسه، وتمتم:

- كلّ الوضوح يا سيدي!

واستدارا معاً باتجاه الباب؛ حيث دوى إطلاق النار خارجاً، ثم عادت نظراتهما
لتتلاقى بدهشة، وهتف "مارك":

- ما هذا الذي يجري!!؟

انفلت "ألبرت" خارجاً وهو يقول:

- سأعرف حالاً يا سيدي!

اختبأ "مارك" تحت مكتبه وهو يقول:

- أغلق الباب خلفك يا أحمق!

انتهت الحلقة الرابعة عشرة

...يتبع

